باب للاستسلام وباب للخروج

أحمد بنميمون

1 ـ في الزمن دائما يوجد ذلك المتسع ـ 1973 ـ

في الارض دائما تهبط السيوف لتحد او تسيج ساعات ذلك المنتأى الذي نكون فيه هاربين اضطرارا او عائدين خيارا لنلبس الاغلال او لنسجن في جلدتنا الثوب ، خشية ان نسقط في عري الكذب .

هل كان ما توقعته حولك وفيك يقينا ؟

تشتعل المقبرة في الليلة الثانية بعد القتل ، ويبدو الصدق على الافق مصلوبا خارج ملابسه وجبهة الخفاش محاطة وموشى صدره بالورد ، في الزمن دائما يوجد ذلك المتسع ـ المساحة التي تصلح ان نملاها قبورا او حدائق ، أن نملاها بضحكة كالشتيمة او كاللعنة التي يمكن ان تأخذ حيزا يشبه الساحة ـ الغرفة ـ المقهى : الساحة : مكان مناسب للاشتعال ، لكن أين من يقوى على تحمل عذاب التوهج او توهج العذاب ، يتألف فينا خوف بلا حدود

الغرفة : ندخل او نخرج فالزنازن لها ملكة مطلقة في احتضان الذين يحلمون فيشتعلون في حلمهم .

المقهى : نهرب او نستسلم فنحن عائدون الى السجن نفسه نحمل مزيدا من الريح في المقلتين ، مزيدا من الصور الضوئية في الرئتين . نرتجل النظر في عذابنا ، والساحة غارقة في الموت ، الصمت ، وفي الزمن دائما يوجد ذلك المتسع ـ المساحة التي تصلح ان نملاها سجونا وبروجا لحراسة الفرحة المغتصبة ، والطريق الى ذلك المتسع لا تعرفه المحطات ، الموانيء ...

الى اليابسة لا يسير النبع بيوسة حقلي الذي تمنيت ورده لا تعرف الشمس دربا اليه ، أتناسل في ذاكرة

الريح مع تربة خاصم الخصب جذور نباتاتها هاجرها النبع وفي الزمن يوجد دائما ذلك المتسع لمنع الارض التي تتالق ظمأ من تسرب الماء الى حيث يتم الارتواء في الرحم .

2 ـ اشتعال المقبرة في الليلة الثانية بعد القتل :

اراك تقتربين وتشتعلين
كأنك المقبرة في الليلة الثانية بعد القتل
هل لحدود اقربائك الداخلية نفس التوهج الذي لايعاد ضواحيك كما اراك ؟ تشتعلين أمامي يا مدينة تصرخ في دماء الاخرين او تفرقين معهم في الدوامة نفسها ، او تنكرينهم اذا ارتحلوا للبحث عن عقل للاستنكار
وفي العقل دائما يوجد ذلك المتسع : نستنكر فنشتعل وننافس الشمس والنساء ، وننتظر ان تستنير اليابسة ان نغير الزمن الذي يصل عبر خيوط الاشعة الى قلب الارض بالصور الضوئية التي في عيوننا ، ونخترع زمانا آخر واياما أخرى ، نسميها بالاسماء التي نريد ، ونسمي الزمن الذي يجري بحسبان تحت اصابعنا بالاسم الذي نكره ونستهجنه : أوف ... الزمن الانثوي تحكمنا فيه رغاب النساء واشباه الرجال ، أسرتهن ان ثعرت فيهن شهوة ننزل فيها الى حضيض المهانة . في الزمن الانثوي تلمع المراحض كما تلمع عيونهن في ابهاء الاحتفـــال بالمخاتلة في القلب متسع للاغنية القيثار ، تعزفيـــن تنويعات على عالم يخدع فاصبح الكلمة في حنجرتك ولكن قولي : هل يمكن ان اعتبر شكواك من الكلام الساقط الذي تقبله في زمني بروتوكولات الصالونات ، لا مجرى له في آذان الشارع او القصر ، في الشارع متسع أحمل فيه لغتي واتصعلك كما لا تريد مراكز الامن .
اناديك : اقتربي واشتعلي فانا الليلة في قمة مجدي ، ومهما ضاق المتنأي ففيه دائما متسع للانفراج والقبض ، للغياب وللحضور .
تبكين ؟ تساقط من عيني وتكاثري في ارحامي ومحاراتي يا زهرة النساء التي تهبط او تطلع في سهول تسطحاتي صاعقة تضحك فتسخر من المسافات . فبيننا الجـــرح الزمن والزمن الجرح الذي يهدم كل شهوة او نزوة ، لذا ارفض ان تكوني ذاكرتي فتكتبين تاريخي .

وتاريخي ثياب اخلولقت على أجساد الاخرين للقـــروح التي عرتها الارض بقيحها وتفسخاتها وزلازلها .

نشيدي فيك ضحية مسكونة بالدمع والندم

وندمي فيك شتاء ينهمر بدعوات القحط التي ترعـــب صلواتها عروقي التي استدير حولها . وأقوم جدرانا تنعقد الصواعق على طلائها وحقولا تهصر الرياح اشجارها وبيننا يقوم دائما الفرق والبحث ، الهنا والهناك .

ومجتمعين تفرقنا مسافة يغسل كلماتها التواليد مسقوفة بالشوك الذي يقيم في غياب الزهر والثمار في سلال .

للتبادل دائما توجد هناك سلال للجراح وأخرى للعيون التي تهبطين فيها زهرة على صدور الرجال .

هل تصبحين اختا للماضي الذي ينحدر نحوي من الايام الاتية

وصوتا احمر ، اخضر ، يذكرني بتكاثر الانغام في رحم لغتي بتوالد الايام في رحم زمني ـ الانثى : ايتها الانثى التي اضاجع هلا اصبحت عقيما فتمنع عني تزاحم الابناء هذا ، اني انكر مبدأ الرغبة في الابوة واقر الانكار .

3 ـ شهادة :

حينما يصبح قلب الشاعر فارغا لا تملاه الا صـــورة ذابلة ، اوراق شحبت فيها التذكارات ، حينما تصبح عين الشاعر فارغة لا تملاها الا الخطوط العمودية والافقية والحلزونية ، الشوارع والازانات وارقامها ، وكراسي المقاهي المتعبة ، يتذكر أنه استبدل ذاكرته الخضراء بذاكرة أخرى كالحة ومغبرة ، يمكن أن يعترف بانـــه اصبح اخا للنسيان ، وذاكرته الخضراء كانت في الماضي أختا للوردة رأس الشاعر لم تعد تملاه النسمات التي تحرك في رأس العصفور أوتارا فيغني تهيج في قلبه الصور الاوراق فتغني ذاكرته التي تأخذ شكل قيثار باوتار متداخلة الاصوات ويعرف انشودته فوق جدران لها في القلب غرفها التي تستدير حولها ::

يا ذاكرتي اللون الذي تختارينه خطير

وأنا اخشى اللون الذي يعلق بك بين سوداوية المدن الاخرى ـ تنسين ؟ هل يؤنسك الكأس الى هذا الحد ، يوهمك ان السواد الذي ترينه شبيه بالصباح ؟ يا ذاكرتي

ارتطمت بالدم الطفل الفرح المقتول ؟
اهل تختارين لون الاسفلت تحت العجلات وصراخها اذا
ذاكرتي وخضرتها طفولية .
حينما لا تملا رأس الشاعر غير عقارب الساعة
يتمزق القلب على الارصفة الغارقة في بحر الخطوات
التي تسير عمودية وأفقية وحلزونية ، حينما لا يملا هذا
الرأس :
غير الخوف وهذه المدينة اجمل حدائقة .
غير الخمر وهذه المدينة اشهر ينابيعه
غير الكذب وهذه المدينة اطول السنته
هل يستطيع بذاكرته هذه والوانها أن يتذكر : الحب
والسماء والورد والصدق والهوى والقمر والاشجار
والاخضرار والصلاة : (الدعاء بطول العمر : التعب احيانا)
القلب (خاتمة الرحلة الى ادغال قلب او رحم لم تكتشف
ولم توطأ) .
حينما يصبح قلب الشاعر فارغا الا من أروقة واطلال
دارسة . تمر فوق حزنها اصابع الريح عليلة او عاصفة
يغدو مبررا أن يعلن حزنه ، رغبته في الهدم : الحب :
الموت من أجل الثورة . وبنكر اوراق تعريفه الشخصية
الرسمية . يأخذ من عفر الارض حصبة ويودعه الخضرة
يانعة الاثمار .
ويسافر في الموت ، يعبر خلال الموت الى عالمه الانسي
والاخطر كي يشرق فجره مكتمل الفتنة يوفي مناه .

4 ـ آفاق للعصافير العائدة :

ذاك الصباح كان هناك حزن مؤقت يملك القدرة على
الاستمرار على وجه مدينتي الخائفة الامنة ، كنت أعرف
انها تنظر باستسلام الى الجبل ، وباسترحام الى السماء،
لم يكن هناك من يقدر على اعلان النقيض .
أيها النقيض هل كان ذلك الحزن سحابة صيف
والخوف سحابة صيف
والامن سحابة أمن ـ حيث تحاصرني وتحاصر في
اقاليم وتريد ان تمطرها وابلا من نار ، ويطارد صوت
قائدها العصافير يقتل في ذاكرتها :
موسما تتناسل فيه
موسما تغني فيه

وموسما تهاجم فيه :
(أيها القائد لن نحضر اليك ، عبثا ترسم لنا اقفاصا للاقامة وقانونا للفناء ، ومبغي نسعى اليه حين نتذكر الاحباب فسوف نذهب الى الشاعر الذي رسم لنا شجرة وجلس موثبا في انتظارنا ، قلقا ، لنغني معه من اجل مدينته التي اعتلت بروق قمعك السحاب الذي يمطرها رعبا ، وموتا ذاهبون لنطرد الحزن الذي يقيم على وجه المدينة ، وسنزل ارواحنا في اجسام بشرية معافـــاة وستكون قوة العقل لنا ويكون هزال الرد لك فلتعـــل البسمة وجه العصفور المقيم في جسد الشاعر
ولتعلو الفرحة وجه المدينة .

د ـ دوائر في الاعماق :

انني انطوي على كثير من بساتين الاساءة التي لا تعطي ثمارا . التي لا تستعمل سيفا ، وهذا يؤسفني ، فلا تتصورين ان اليقطين والزقوم بعضا من اشجار هذه البساتين ، اني اسيء حين احب وفي رغبتي ان أتكاثر كالدمع في عينيك او كالحمرة في خديك او كالزرقة في تعلقها باسباب السماء او ارتمائها على امداء البحر ، الاساءة والتفاهة بينتان .
اسيء حين اعطي للذي تلوثت رؤيته بالاستقرار
صورة طفل يدفع مركبا صغيرا في موجة صغيرة
وفي رأسه حلم كبير ومركب اكبر وموج مروع ومهول .
واسيء او يراني تافها الذي فقدت ذاكرته القدرة على التجول في الابعاد . حين اجره خارج عقارب لحظاته .
وارسم معه حلما انسج على قوله للحزن موتا
لوردة الخروج من جحيمنا الكبير تفتحا
وارسم معه حلما انسج على لونه للحزن موتا
على نول حلمي قفازا وزمانا أعشقه واحدد دورته كما ابتغي
ولكن عقرب الساعة هو نفس العقرب دائما سواء تالق بالاخضرار او غرق في بحر من حديد الاصفرار ، ينطوي على قدر لا يتحمل من التفاهة حينا ومن الاساءات احايين أخرى ، اذا شئت فها انذا اعلن اعتقادي :
تضحك الشمس ليبكي الانسان فليس من بأس اذا غرقت في ضحك مستديري مع الليل والكأس احيانا وراء الشمس

او معها وانا أعرف انها تجري بحسبان ومقدر سقوطي في لهاثي وراءها او معها في الحالتين معا . فيا ضحكة الشمس انك تحملين قدرا لا يطاق من الاساءات ، جلدي يتورم من جرائها ، اني اعلن استنكاري ، فلما ذا كانت الايام الرمادية والسوداوية لي وحدي وكانت الايام الضاحكة الممتدة في الاشراق من نصيبك دائما . هل تعرف الشمس ليلا ، قد يبدو مغرقا في الاساءة الى الشمس قولي !

ان اشراقك الدائم ظلمة ارضنا ، قد وهبتنا خدعـــات متعددة :

الفجر ، وفيه تبعثين الى العصافير بنوتات الغناء الذي لا يتطور ولا يبحث عن اشكال جديدة .

الظهيرة : تتعامدين ، لماذا ؟ اليلعنك الذين بلا مقيل
أم ليشكرك الذين يتجشأون الغازات

الغروب : تمسي خيوطا حمراء وصفراء تتداخل لتلتقي بسوادي هل تحسبي انك تكررين الخدعة حينما اتبين من جديد الخيط الابيض من الخيط الاسود .

انني ابحث عن رفيقة تحول حزن تجوالي ، عن عاشقة تتسامرني فلا امل رفقتها كما مللتك ، اني ابحث عز بطلة لملحمتي وشعري اتمركز واعلن : ان البحر يهتف في البحر والزوارق تغرق في اعماق البحـــــارة وان اعماق البحارة تطفو على سطوح الزوارق والكل يغرق في البحث عن بحر يهدأ في البحر ، حتى لا تتحدد ابعاد الرحلة ، يصبح السفر غيابا في السفر والحب موتا في الحب ، والغناء ذوبانا في الغناء والنجمة سكونا ضوئيا في النجمة ، والدمعة تمزقا وتحرقا في الدمعة ، وأنـا اصرخ في أنا ، وبيننا البحر ، الزوارق ، السفر ، الحب الغناء ، النجمة ، الدمعة ، وتصبح الدمعة بحرا ، الدمعة زورقا ، الدمعة حبا ، الدمعة نجمة في افق الايام اليابسة الخرساء السوداوية ، فكل البحار من ورائنا ، وانت ايها الزمن ـ سيوفنا مقلولة ـ امامنا اثبت اصبعي في الارض فاكتب القصيدة وحين اتجذر في كل الارض بكامل حواسي واعضائي اكتب ملحمتي عن الدم والضياء فتهتف باسمي النجوم يهتف الضوء في الضوء والذات في الذات فاعلن ان الضوء يرفض

والقلب يرفض
والشعر يرفض هذا الموات الخراب الظلام
تطلع اجسادنا زهرات من الموت .
من الموت نبدأ هذا الهجوم
نمد الجسوم ...

6 ـ تفتح البنادق ـ البراعم :

وراء الاوهام والافكار جلست
وراء ازهار اسمى الذي بلا نبلات
وحروف الحقل الذي بلا تراب ، انكفات يلامس اصبع كيان الوراء الذي لا اعرف له أماما الوراء دائما صفات ، فمن ورائه لا ينفذ شيء ، لا يقف شيء ، فكيف اجدني اصبحت وراء الوراء . من انوار نقائصي ، من ظلمات براهيني أجهد جسمي الذي بلا فكر يريد ان ينقطع او ينفذ الى واجهة الوراء .
لكن من يغوص من ارصفة ميناء طرقته أقدامي يتدلى لكن من يغوص لا يجيء من يطفو يطفو ، ولا نور من سماواتي يأتي او يطفو من ارصفة ميناء طرقته اقدامي يتدلى من سقف الدنيا
من يغوص يجيء يطفو او يتدلى لا يصل الى امام ما ورائي ، ما امامي الزهرة في الاسم والحروف في حقول لا اعرف مكانا لالفاظها ، من يدخل الفاظي يتدلى من سماء لغتي من يتدلى من الفاظي ينزل ارضي ويفارقني مستندا الى ما امامي جاهلا م اورائي وأنا نكرة بين المنزلتين وراء الاوهام ، أمام الاوهام .
لا افكار تتهرب فاستريح اذ تبعد عن ميادييني او تحضر اوهامي فأعيش في مرآتي منظورتي كانت شبحا وفوقي النجم لم يلمع ، التربة لا تنجب ،
الاثمار والامطار والشموس والاقمار غادرت اشجارها حقولها سماواتها ولياليها بين أصابعي .
فاصبحت الثمرة الديمة الشمس القمر وغادرتني اصابعي وسعيت الى الاشجار الحقول السماء الليل وفارقت جسدي من فارقني أقام ورائي أو أمامي وسبح باجنحة
ما خرج من جسدي وما دخل فيه طائر ، الطيور كلها جسدي
لكنني اذ صليت لا عدم تفتتت فطارت اجزائي

ما غادرت الفاظي اغنية ، غابرت اغنيتي ووراها الجبل الذي لا يتكلم انما سكنت واحجاره في دائرة صحت ولا باب للدائرة ولا مخرج للمقيم في حضرة الاحجار من صمت الاحجار ، من نظرة الاحجار ، من امام الاحجار ، من وراء الاحجار من احجار الاحجار وجبل الجبل وخضرة الخضرة ودائرة الدائرة من وراء الوراء من لائها من لائي التي تعرف كل شيء ولا تتحدث عن شيء .

لا باب للدائرة لتنقذ اقوالي ، لتخرج الفاظي ، لتشرق انواري لتلمع نجومي ، لتمطر سمائي ، لتمر ايامي وساعاتي بين منظوري وعيني بين ناظر عيني ومنظور منظوري ، اصحو لي ظما الحجر فانفجر ماء واشتعل من اين ابدا مشاهدة صحوي واختيار ارتوائي واشتعالي ابدا ، يبدا انفجاري ، لا ، ميادينه تتسع ، ومن هناك يبدا خوفي اشتعل في قمة صحوي ، فانفجر كعين يابسة ، واغني كطيور ميتة نضب معيني ، ويبس عودي من اين لي الانفجار والغناء اغني : فتخرج عن غنائي الخضرة في الاشجار

تلمع عيني أو تنطفيء فستان فمنظوري اقتحمني واستوى في دواخلي وما رأيت ما رأيت انت مصابيحي وانا سرب فراش حائر ، لا ارى اضواءك الا بصوت للنظر في أعماقي بنظر للصوت خارجي فاحترق فيك ولكنك تعانين نفس مصيري .

انت بابي ودائرتي ومحيطي وما خرجت في تكوني وتحولاتي عن كمبائك فلم اتصير ولم اتغير حيث الالوان والانواع والاشكال والاغيار بقيت كما كنت ، فهل ضللت عن رؤيتي وجوهري . وما بقي منك فيك استمراري وثبوتي . اذا نزلت عز طلبي ، وان ترفعت ضاع من لغتك قاموس افتتاح للغتي ، تضيعين في مفازة الوجد فلا اهتدي اليك او اطفو صافيا ونزيها من كل شائبة ، اخرج منك ومني

لا تخرجين في حال من مجد هواة ، وانت الجاحدة الحاقدة المترفقة المتودة . فاين اجدك ام اين تعثرين على آثاري : لست هناك وهنا كنت هناك وهنا ، انت الهناك والهنا ، وانا لا هناك لا هنا . هل اجدك ، هذا سؤالي وبين اوهامي وافكاري اجلس لا ارى لي وراء ولا اماما . اقبل

ولا ارفض ، اصفو ولا اتكدر ، اطرب ولا احزن ، احزن لا اسيح لا ترفع القيود عن اجنحتي ، فاغيب ابحث عنك ولا تحضرين استسلم لماضيك فلا تثورين لحاضري
انت باب للاستسلام أنا باب للخروج .
أثور وانثور فلا أتحدد فامتد واعدو
اتسلح فلا انفرد فاجتمع وابدأ واهدي
اطلب واطالب فلا يأخذني بحثي عنك الى الكف عن النظر الى حيث تقفين
اسمي البنادق براعم زمن آت
اسمي الشوارع ازهار هذا الزمن تفتحت غربتي فيها اطلقي تسويحي وترويحي في خطوطها وتقاطيعها
اسمي الغابات مفازة لم تشهد ولادة شجر
اسمي البيوت مقابر لا تحتضن الا الاموات
اسمي ذاتي العجز ولكنني اعترف بانني في قمة صدقي وصفائي
اسمي الدخول الخروج قيدا ولكنني لا انكر انعتاقي الذي بلا انشراح وضحكي الذي بلا جنون وجنوني الذي بلا فرح
اسمي ايادي الضحك الجنون (≠ الفرح) في غيبة الفرح في حضرة الفرح الذي بلا طعم .
اسمي بيتي مساحة قبر او زنزانة ، اسمي نفسي ما يتبقى في الاجسام بعد الترفت او في الزهور بعد الذبول، وارفض ان ارى فلا ارى بابا في دائرة تفرج ، حزمات ضوء تقفز بين الارض وبين مقلتي ، يا منظوري فيما ارى من التماع بين مقلتي والارض ، المسافة بيني وبين مصيري الذي تحاولين معاناته وأسمي معاناتي باسمك واشرع في تعذيبي فهلا شرعت في تعذيبك ، فالمستقبل لا يعرف نقطته في ، وحين تكتشفينني ستنطلق البنادق، تتفتح البراعم .

ترفع الغابات اشجارها
ينفض الشارع عن كتفيه اغترابا
فأدخل عصري واشرع في الاخضرار
بابا الى الثورة يشرع في الاخضرار
ارفع عن ذاتي اوزارها وانادي التي

استسلمت للزمان الذي عبرتنا حوافر خيله
ما قد خلفتنا حطاما واطفالنا فقدوا الحنجرة
وصودر الصوت منهم فما عادت اغنياتهم تملا ساحاتنا
ابغي سلاحا فلا اجد الا البنادق ـ البراعم
واسمي البنادق افهام الناس
فلن تتفتح بنادق قبل ان تتفتح رغبة الانطلاق
واسمي الانطلاق عين وجودي
اتحدد به أتوحد فيه فتولد امامي شجرة
اسميها التغير والتصير والتحول والتجدد
تعطي ازهارا تفتح لي بابا للمستقبل

الدار البيضاء 1973

احمد بنميمون

أنياب طويلة في وجه المدينة

قصص قصيرة

مصطفى يعلى